

قراءة في كتاب السيميائيات السردية لرشيد بن مالك

أ.لعجال لكحل

د.هاجر مدقن

جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)

الملخص:

"السيميائية بوصفها خيارا منهجيا مغايرا للمناهج النقدية التقليدية"، هكذا يفتتح رشيد بن مالك كتابه "السيميائيات السردية" تلك المدونة التي أودع فيها الباحث خلاصة تجربته السيميائية، نظريا وتطبيقا على نصوص سردية عربية. ذلك ما دفعنا إلى قراءة هذا الكتاب.

الكلمات المفتاحية: منهجية ، سيميائية ، سردية ، واقع ، أفق ، تحليل ، الرواية.

Résumé:

Sémiotique comme une option systématiquement différente des méthodes monétaires traditionnels , de sorte Rashid ouvre entre le propriétaire de l'ouvrage " la sémiotique narrativité " d'un tel blog dans lequel un chercheur déposé la conclusion de son expérience Sémiotique ,théorique et appliquée sur les textes narratifs arabes ,qui est la raison pour laquelle nous avons lu ce livre

mots clés: Méthodologie, sémiotique, la réalité ,les perspectives, l'analyse, le roman

Abstract:

Semiology is described as an optional strategy which is different from the Other traditional critical methods. Rashid imtrate his book if narrativity semiologies «that blog sin which the researcher had put his semiotic conchusive experience, theoretically and practically on the Arabic narrative texts. » this is what leads us to read this book.

Key words: Method /strategy /Semiology /narration/reality/horizons' /analysis /novel

أهمية الكتاب:

تكمن أهمية هذا الكتاب في كونه من مدونات الباحث رشيد بن مالك؛ تنظيرا وممارسة، حيث ضمنه واقع وأفاق السيميائية في الفكر الأوروبي وواقع السيميائية في العالم العربي. وتتبع مسار النشأة عند الغربيين وكذا تلقيها عند العرب وتطبيقا على نصوص تراثية: "كليلة ودمنة"، ونصوص جزائرية: رواية "توار اللوز" لواسيني الأعرج، ورواية: "عواصف جزيرة الطيور" لجيلالي خلاص. واعتماده نظريات ومفاهيم السيميائيين الرواد في العالمين الأوروبي والعربي مثل: غريماس (A.J.Greimas)، كورتيس (J.Courtès)، آن إينو (Anne Hénault)، جان كلود كوك (j.C.coquet) عبد الحميد بورايو وسعيد بنكراد ومحمد الناصر العجيمي ورشيد بن مالك. تلك الأسباب التي تجعل من هذا الكتاب مرجعا أساسيا؛ للطلاب والأستاذ وكل متتبع لمسار السيميائية السردية.

تقديم الكتاب:

جاء العنوان دالا على الطابع الموسوعي للسيميائية. « بفضل الاجتهادات المتلاحقة للباحثين السيميائيين المعاصرين »⁽¹⁾. فالسيميائية هي «الرافعة التي توجه العلوم نحو النظرية العامة للمعرفة» وشموليتها الفلسفية عند أمبرطو إيكو (Umberto Eco) وبيرس (Peirce). وأكد رومان جاكسون (R.Jakobson) هذا التعميم أيضا بقوله «إن أي تعريف للسيميائية لا بد أن ينطلق من طابعها الموسوعي الذي يجعل منها - في نفس الوقت - علما ضمن العلوم وعلما

مساعدًا لهذه العلوم وعلمًا عامًا فوقيًا يحرك العلوم جميعها»⁽²⁾ و «يؤسس اهتمام الباحثين العرب [ومنهم رشيد بن مالك] بفن الرواية مرحلة يصبح فيها فن النشر (السرد) انفتاحًا على كل شيء، رؤى متعددة لعوالم لا حدود لإمكاناتها»⁽³⁾ تضمن الكتاب ذو الحجم المتوسط، 182 صفحة (17X23سم) دراستين:

أولاً: الدراسة الأولى (نظرية)

1- واقع وآفاق السيميائية في الفكر الأوروبي:

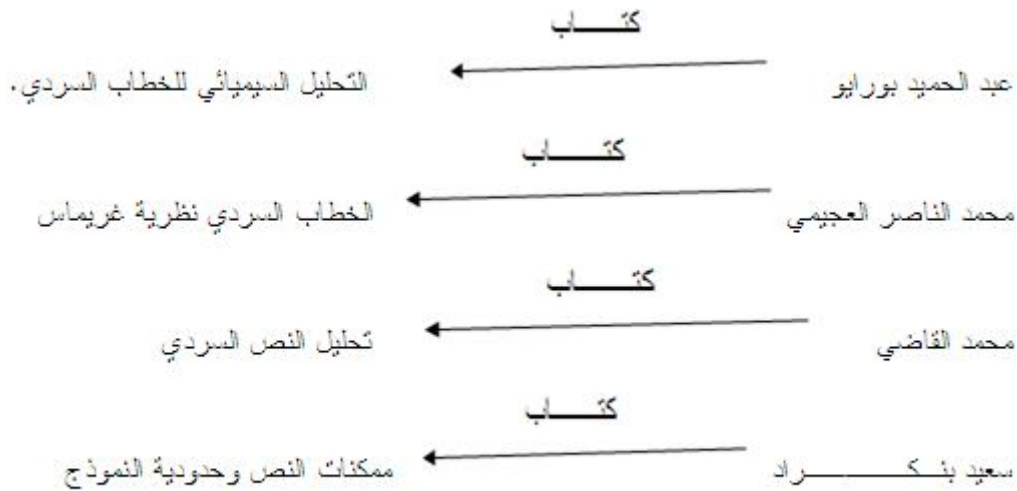
تتول الباحث واقع وآفاق السيميائية في الفكر الأوروبي مبرزًا تحولاتها وتوجهاتها خلال ما سماه التوليفة الأولى من الملفوظ إلى التلطف 1991، قبل وفاة غريماس 1992، والتوليفة الثانية، من التلطف إلى الملفوظ 1995، ثم التوليفة الثالثة التلطف 1998. ميرزا تطورات النظرية عند جوزيف كورتيس (J.Courtès)، والاعتراضات المنهجية المستحدثة⁽⁴⁾.

2- واقع وآفاق السيميائية في العالم العربي:

حيث تتبع مسار الحركة السيميائية في الدراسات العربية المعاصرة، مقدما قراءته في بعض البحوث السيميائية العربية، لكل من عبد الحميد بورايو، سعيد بنكراد، محمد ناصر العجمي ومحمد القاضي. ومحدودية النموذج. دون أن ينسى المشكلات المعترضة. مثل مشكلة ترجمة المصطلحات وممكنات النص العربي مبينا «أن عسر الهضم لهذه النظريات، إنما يأتي من المصطلحات واللغة التي يطوح بها النقاد يمينا وشمالا، لا من المبادئ الأساسية للمناهج»⁽⁵⁾.

ثانياً: الدراسة الثانية (التطبيقية)

وقد أخذ الجزء التطبيقي الحظ الأوفر في أبحاث رشيد بن مالك، من الصفحة 44 إلى الصفحة 182، حيث قدم دراسة مقتضبة: ⁽⁶⁾



«ونحن جانب السيميائية السردية التي أخلص لها في الجانب التطبيقي»⁽⁷⁾ فتناول:

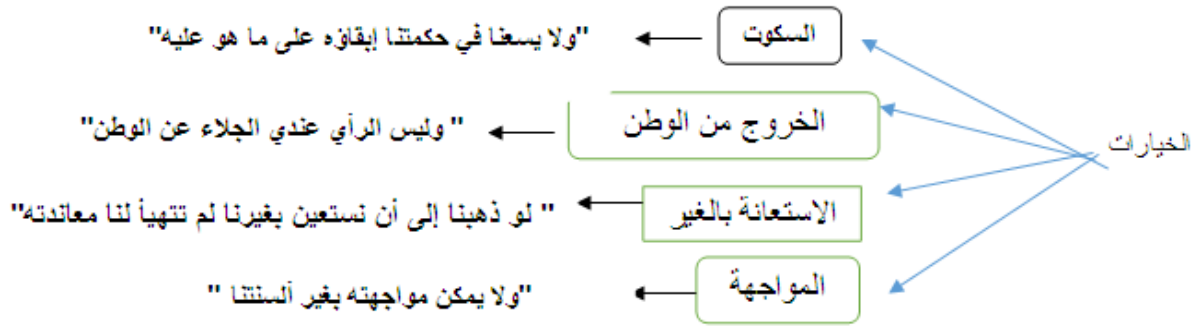
أ - قراءة سيميائية في كليلة ودمنة لعبد الله بن المقفع:

عمد رشيد بن مالك إلى توضيح الآلية التي يتشكل بها الخطاب الحجاجي وبنية النص في إستراتيجيتين:

1 - إستراتيجية التحريك / الإستراتيجية الخطابية في النص.

«وإذا كان ببدبا قد فشل في تعبئة تلاميذه، فإنه قرر مقابلة الملك»⁽⁸⁾، سالكا إستراتيجية الحوار المعرفي⁽⁹⁾. بعد

دراسة عدة خيارات أفضت به إلى الإستوزار⁽¹⁰⁾ وحتى نفهم هذه الآلية - الخيارات - نقدم الخطاطة التالية:



ب - دراسة تحليلية لرواية "نوار اللوز" للروائي واسني الأعرج:

- الافتتاحية و العنوان :

بدأ - الباحث - بالبحث في مستويات النص وأشكال بنيته فتصدر العنوان الرئيس «نوار اللوز» والعنوان الفرعي «تغريبه صالح الزوفري»، ثم فاتحة الكتاب (1) للروائي نفسه. (11) وفاتحة الكتاب (2) المؤرخ المقريري. (12) ولأن كانت الفاتحة مستقلة عن النص الروائي وأحداثه وشخصه، فإنها ملحقة به زمنياً ومرتبطة به دلاليًا «ليخلص إلى أن» (13) ما بين النص وخارج النص منطقة ليست منطقة اتصال فحسب بل منطقة تفاعل (14) «فهو الوسيط الذي يسمح بالعبور من خارج النص إلى النص». (15)

- البنية السردية وتجلياتها في رواية نوار اللوز

من خلال مدارسته للبناء الداخلي للنص، يكشف رشيد بن مالك العالم المضطرب والعالم المتوازن. «يلعبون بدمنا ويوزعونه على أغنياء البلد أوراقا وفيلات وكباريات ومراقص»
«نحن ندفع الثمن من لحمنا، حتى البنزين هذه المرة أخذوه...»
«دائما ضحاياها. وهم آخر من يمكن أن تلتصق به التهمة» (16)

أوجه الصراع بن طرفين متضادين الفاعل صالح الذي يقوم بدر المهرب والفاعل المضاد الذي يؤدي دور الجمركي، ذلك ما يحدد رهانات الصراع في موضوع قيمى واحد هو الخبز «والله يا حمادة نريد الخبز فقط، حاجة خفيفة شوي كتان...» «لا شيء في هذا الحي غير البرد والجوع» (17) وحتى يحدد الباحث البرنامج السردى لهذا الصراع لجأ إلى جدولة المقاطع السردية. متتبعا المسار السردى ودلالاته للفاعل وللفاعل المضاد. (18)

- شخصيات الرواية/تصنيفها وتأطير مكوناتها الشكلية والدلالية

استقدم رشيد بن مالك مفهوم الشخصية في النص السردى ثم تصنيفا لشخصيات الرواية عقبه بتحليل مستوياتها والنظر في تجلياتها الدلالية، حيث «الوظيفة التي يحيل بها الدليل اللساني على موضوع العلم غير اللساني، سواء كان واقعيًا أو خياليًا». ويسند إلى هذا التنظير ملخص نظام تسمية شخصيات رواية «نوار اللوز» في جدول مفصل حسب انتمائها الطبقي أو المهني أو الاجتماعي. (19) وخص الشخصية الرئيسة في ترسيمه تبين مغامرات صالح (20)، من الخطاب الروائي الذي يستخدم في الغالب «الكلام اليومي، الذي يعطي الشخصيات هويتها المميزة». (21) والذي يكشف تحولات الصراع:

- الفئة المجاهدة: «أعرف أنك كنت مجاهدا فاضلا»، «نحب بلادنا لكنها ليست لنا». «خرجنا كمن الباب دخلتم من الطاقة». (22)

- الفئة الغنية المتواطئة: «الرعية تمشي باستقامة». «وقد نسي مهمته»، «يلعبون بدمنا». (23)

والرواية تعد من الروايات المغاربية التي تمثلت التراث الشعبي في سيرة بني هلال. ولأن كان رشيد بن مالك يشير إلى ذلك إشارة خفيفة لإعتباره المنهجية فإن حسين لشكر يقول «لقد تجاوز الأعرج بنيات النص المرجعي وأسيفه الخطابية وشيد عالما روائيا يعارض السيرة الهلالية ويتجاوزها، نصيا في الآن ذاته»⁽²⁴⁾ وقد «تضمنت الرواية شواغل الراهن وأسئلته، في الجزائر ومرحلة السبعينات و ما شهدته من أحداث متأزمة على جميع الأصعدة»⁽²⁵⁾

- قراءة سيمائية في رواية "عواصف جزيرة الطيور" لروائي خلاص الجليلي⁽²⁶⁾

1-رهانات الصراع في الرواية:

1-1- الأبعاد الدالة لتسيير العمل السياسي:

السلطة / الشعب / المتقف

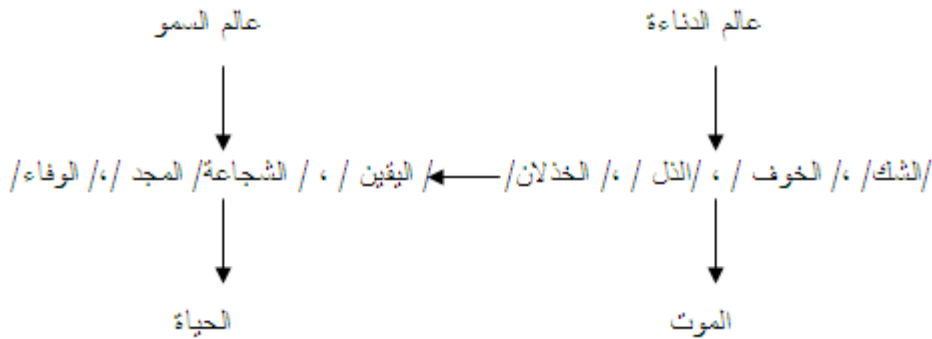
1-2- التجليات الدلالية للخطاب التاريخي للنص الروائي.

رغم أن "عواصف جزيرة الطيور" رواية سياسية بامتياز التي تقتضي أحداثها التحليل السوسيونصية في فترة تاريخية تمتد من الغزو الفرنسي إلى غاية أحداث الجزائر 1988 إلى أن الناقد رشيد بن مالك يذهب منحى المنهج البنيوي النسقي عن قصد و دراية و تصريح حيث يقول: «و دون أن نحاول إضفاء تأويلات قد لا يتحملها النص»⁽²⁷⁾ «فهو لا يتخذ الممارسة النقدية على أنها منبرا للدفاع عن قضية سياسية أو أيديولوجية»⁽²⁸⁾ فيعمد بعد استقرار عدة مقطوعات سردية إلى ثلاثة مسارات :

1- مسار الشيخ الأكبر والنقابي بوجيل: كاشفا عن طبيعة ممارسات السلطة رئيس

المشايع، تنمية الثروة، الإغراء، الإسكات، العنف، العنف المضاد الذي ينتهي إلى اغتيال النقابي.

2-مسار صراع المتقف



3-مسار الراوي على مستوى البنية السطحية

بدء بتلقي الملفوظ بالنص الافتتاحي للأمير عبد القادر والأيام العصبية التي تبدأ أحداثها بمحاولة شارل كان احتلال جزيرة الطيور

قراءة في كتاب السيمائية السردية لرشيد بن مالك:

فضلنا في هذا البحث أن نضع السيمات المميزة وأن نتبعها وفق الآلية التي انتهجها رشيد بن مالك و قد ارتأينا أن نجملها في ما يلي:

- المقدمات المنهجية
- الجداول
- الترسيمات (الخطاطات)
- الرموز والعبارات الرياضية

1- المقدمات المنهجية:

المقدمات المنهجية تقوم بتغذية مسبقة لإعلان المتلقي الدارس بحدود التنظير والتأصيل حتى يكون على علم بإطار تنفيذه، فلا يكاد رشيد بن مالك يفتح بابا بحثيا إلا بمقدمة منهجية وهذا الذي انتهجه أيضا في كتابه السيميائيات السردية، وقد خص الجزء النظري بمقدمتين منهجية (اعتبارات منهجية صفحة 09، اعتبارات أولية صفحة 33) أما الجزء التطبيقي فقد خصه بأربع مقدمات منهجية

- اعتبارات منهجية صفحة 45
- مدخل نظري صفحة 87
- مقدمة منهجية صفحة 129
- مقدمة منهجية صفحة 155

فهو يعمل على إرساء (تصنيفات فكرية للأشياء حسب خصائصها المجردة، فهي من أدوات الفكر الأساسية) ⁽²⁹⁾ سالكا بذلك طريقتين لإرساء المفاهيم، طريقة الاستقراء: يبدأ من المقطوعات السردية ليصل إلى بنية دلالات النص أو تعريف الشخصيات و تصنيف وظائفها ليصل إلى نظام التسمية. وطريقة الاستنتاج : ينطلق من التعريف إلى تحليله والأمثلة المناسبة من المحسوس إلى المجرد ⁽³⁰⁾

2- الجداول:

يصنف ويجدول الباحث استنتاجاته في جداول ولذلك وردت كلها في الجزء التطبيقي و في ما يلي محتويات تلك الجداول:

جدول يتضمن ملخص الجداول

رقم الجدول	الصفحة	التسمية	المضمون
1، 2	93،92	المسارات السردية	المسار أ للفاعل صالح المسار ب للفاعل المضاد الجرمي
3،4	95،94	المحاور الدلالية	الدلالات المعجمية للمسارين أ- الجوع والحاجة ب- الحصانة والنفوذ
5	112	الكفاءة والأداء	القدرة والأداء في مشروع التهريب
6	140	نظام التسمية	توزيع الشخصيات ودلالاتها وتكوين المكون السردية
7	149	الفئة الغنية والفئة الفقيرة	السلوكيات الضدية لتجسيد الصراع في الرواية
8	150	الرسم الوظيفي للرواية	الفضاء الذي تتجسد فيه مغامرات صالح

3- الترسيمات (schémas):

ورد في الكتاب أكثر من 38 خطاطة « فالأشكال الهندسية و الرسومات التوضيحية، التي تمثل أداة من الأدوات المنهجية المهمة بالنسبة للناقد رشيد بن مالك، نظرا لما تقدمه هذه الرسومات من معارف علمية قد تعجز التراكمات الوصفية في الكلام عند بلوغها و إدراكها⁽³¹⁾»، الترسيمات تلك السمة البارزة التي اعتمدها الناقد في كل مدوناته وحتى في قاموس مصطلحات التحليلي السيميائي للنصوص مما جعله مميزا ⁽³²⁾

خاتمة:

يكشف الكتاب عن منهجية واضحة وتحكم دقيق في الممارسة النقدية وتمثل نظرية السيمياء السردية، التي استقاها الباحث من أصولها الغربية؛ مدرسة باريس و غريماس تحديدا، محاولا إسقاطها على نصوص سردية عربية، فنبت المفاهيم والمصطلحات الدقيقة واستعمل لغة الأرقام والجداول والبيانات وغيرها من الأدوات الرياضية؛ فهو- رشيد بن مالك- يتميز بالتجرد والتعالي تلك الميزة التي جعلته أهلا للتقدير عند الكثير من النقاد ورواد السيمياء خاصة.

الإحالات :

- 1- عبد الواحد المرابط: السيميائية العامة و سيمياء الأدب من أجل تصور شامل، دارا لاختلاف، ط1، 2010، ص33.
- 2- عبد الواحد المرابط: المرجع نفسه، ص33.
- 3- عبد القادر بن سالم: بنية الحكاية في النص الروائي المغربي الجديد، منشورات دار الاختلاف، ط1، 2013، ص39.
- 4- ينظر: رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، دار مجدلاوي، ط1، 2006، ص15-17.
- 5- محمد فليح الجبوري: الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، منشورات الاختلاف، ط1، 2013، ص193.
- 6- رشيد بن مالك، السيميائية السردية، مرجع سابق، ص34-42.
- 8- رشيد بن مالك: المرجع نفسه، ص50
- 9- ينظر: رشيد بن مالك، السيميائية السردية: ص5-66.
- 10- ينظر: رشيد بن مالك، المرجع نفسه ص49-68.
- 11- واسيني الأعرج: نوار اللوز، دار الحداثة، ط1، 1983، ص5.
- 12- المرجع نفسه، ص5،6.
- 13- رشيد بن مالك: المرجع السابق، ص72 .
- 14- العربي الضاوي: النص الموازي، مجلة علامات، ع31، يناير 2009، المغرب، ص10 .
- 15- ينظر: حافظ المغربي، استدعاء الأسطورة في قصيدة، أنيس لحمزة شحاتة بين النص الموازي والتلقي، مجلة عالم
- 16- واسيني الأعرج: المرجع نفسه، ص18
- 17- رشيد بن مالك: المرجع نفسه ص90.
- 18- رشيد بن مالك: السيميائية السردية، ص92-95 .
- 19- رشيد بن مالك: مرجع سابق، ص140.
- 20- رشيد بن مالك: المرجع نفسه، ص150.
- 21- الشريف حبيلة: الرواية والعنف، عالم الكتب، عمان، الأردن، ط1، 2010، ص6.
- 22- ينظر: المرجع نفسه، رشيد بن مالك المرجع السابق، ص121-125.
- 23- المرجع السابق: ص99، 109.
- 24- حسين لشكر: استلهام التراث السرد في الرواية المغربية الجديدة، مجلة الراوي، ع25، سبتمبر 2012، ص116.
- 25- بوشوشة بن جمعة: الرواية المغربية المعاصرة، وتوظيف التراث، مجلة كتابات معاصرة، بيروت، ع29، 1996 ص105.
- 26- رشيد بن مالك: المرجع نفسه، ص156.
- 27- المرجع نفسه، ص155.
- 28- المرجع نفسه، ص164، 165.
- 29- صلاح الدين شروخ: منهجية البحث العلمي، دار العلوم للنشر والتوزيع، ص10.
- 30- ينظر المرجع نفسه، ص20.
- 31- سحنين علي: السيميائيات السردية و خطاب التنظير في تجربة رشيد بن مالك النقدية، مجلة سيمات، البحرين، ع1

- جانفي 2014، ص 69 .
- 32 - ينظر: عبد القادر شرشار قراءة في قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، الملتقى الوطني الأول، السيميائية والنص الأدبي، جامعة بسكرة، ص 97.
- 33- عبد الواحد المرابط: السيميائية العامة و سيميائية الأدب، مرجع سابق، ص 23.
- 34 - المرجع نفسه، ص 132.
- 35 - رشيد بن مالك: السيميائية السردية، ص 120.
- 36- بشير تاوريرت: محاضرات في مناهج النقد الأدبي (دراسة في الأصول والملاح والإشكالات النظرية)، دار الفجر، الجزائر ط 1، 2006، ص 142.
- 37- صلاح الدين فضل: منهجية البحث العلمي، دار لعلوم للنشر والتوزيع، ص 14.
- 38- عبد الواحد المرابط: مرجع نفسه، ص 22.

المصادر والمراجع:

- 1- بشير تاوريرت: محاضرات في مناهج النقد الأدبي (دراسة في الأصول والملاح والإشكالات النظرية)، دار الفجر، الجزائر، ط 1، 2006.
- 2- بوشوشة بن جمعة: الرواية المغاربية المعاصرة، وتوظيف التراث، مجلة كتابات معاصرة، بيروت، ع 29، 1996
- 3- حسين لشكر: استلهام التراث السردية في الرواية المغاربية الجديدة، مجلة الراوي، ع 25، سبتمبر 2012
- 4- حافظ المغربي، استدعاء الأسطورة في قصيدة، أنيس لحمزة شحاتة بين النص الموازي والتلقي، مجلة عالم
- 5- رشيد بن مالك: السيميائيات السردية، دار المجدلاوي، عمان، الأردن، ط 1، 2006.
- 6- عبد القادر بن سالم: بنية الحكاية في النص الروائي المغاربي الجديد، منشورات دار الاختلاف، ط 1، 2013
- 7- عبد القادر شرشار قراءة في قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، الملتقى الوطني الأول، السيميائية والنص الأدبي، جامعة بسكرة.
- 8- عبد الواحد المرابط: السيميائية العامة و سيميائية الأدب، منشورا الاختلاف ظن الجزائر ط 1، 2010
- 9- العربي الضاوي : النص الموازي ، مجلة علامات، ع 31، يناير، 2009، المغرب.
- 10- سحنين علي: السيميائيات السردية وخطاب التنظير في تجربة رشيد بن مالك النقدية، مجلة سيمات، البحرين، ع 1، جانفي 2014
- 11- الشريف حبيلة: الرواية والعنف، عالم الكتب، عمان، الأردن، ط 1، 2010.
- 12- صلاح الدين شروخ: منهجية البحث العلمي، دار العلوم للنشر والتوزيع
- 13- صلاح الدين فضل: منهجية البحث العلمي، دار لعلوم للنشر والتوزيع.
- 14- محمد فليح الجبوري: الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، منشورات الاختلاف، ط 1، 2013
- 15- واسيني الأعرج: نوار اللوز، تغريبه صالح بن عامر الزوفري، دار الحداثة، بيروت، ط 1، 1983.